القسم الأول

الدراسات العامة

الفصل الأول

١ – نشأة الأدب المهجرى واتجاهاته

منذ أواخر القرن التاسع عشر ، شرعت تنزح إلى بلاد كولمبوس جماعات من أبناء البلاد العربية ، ولا سيما من لبنان وسوريا . بعضها هرباً من جور الأتراك وبعضها انتجاعاً للرزق ، والبعض الثالث للسببين معاً . وبين تلك الجماعات المهاجرة كانت طائفة من الشبان الذين كانت تتوقد بين جوانحهم قلوب متوثبة للحرية ، وفى رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النيّر والخيال الخصيب . أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعى ، الذى عزّ عليه أن يعيش أسيراً للظلم والعوز ، فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء .

ينقسم هؤلاء الأدباء المهجريون إلى فئتين : فئة المهجر الشمالى ، أى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفئة المهجر الجنوبى : وعلى الأخص البرازيل . ولكل منهما خصائص ومميزات – منها الأصيل ومنها المكتسب – قد تتفق أحياناً مع خصائص الأخرى ومميزاتها ، وقد تختلف احياناً اخرى . وقد ظهرت الفئتان فى وقت واحد ، أو فى فترة متقاربة جدًّا ، تبدأ منذ أوائل هذا القرن العشرين ، وتظهر بوضوح منذ الحرب الكونيّة الأولى على الأخص ، وأسهمت كل منهما فى تكوين المدرسة المهجرية الأدبية ، وتركت كل منهما أثرها فيها .

غير أنه لا بدّ لنا من القول إن فئة المهجر الشمالى – على قلة عددها – كانت أبعد أثراً من فئة الجنوب . وعلى الرغم من أن الذين ظهروا فى الميدان الأدبى بقوة من مهاجرى الجنوب ، وذاعت آدابهم فى العالم العربى ، كانوا فئة قليلة ، فإن مهاجرى الشمال – والذين تفوّقوا منهم أيضاً كانوا فئة قليلة كذلك – كانوا أبرز أثراً ، وأوسع آفاقاً ، وأعمق إحساساً بإنسانية الأدب والشعر ، وصلتهما بالحياة الإنسانية ، وبالإنسان ، لقد كانوا فى أدبهم متحررين من كل تأثير قديم فى الفهم وفى الإنتاج ، فظهر أثر هذا التحرر فى أدبهم ، مما طبعه بطابع متميّز فى حريته وسعته .

ويؤكد هذه الحرية ميخائيل نعيمه فى محاضرة له باللغة الإنكليزية ، نشرت مترجمة إلى العربية فى مجلة (المراحل) فى البرازيل ، فى العدد (١٥٩) السنة (١٥) تشرين الأول ١٩٦٩ ، فيقول :

« لا بد فى النهاية من التنويه بعامل كبير من العوامل التى ساعدت على نشر رسالة الرابطة ؛ ذلك العامل هو مناخ الحرية الذى هيأته لنا أمريكا : ففى ذلك المناخ كان فى مستطاعنا أن نفكّر وأن نتنفس بحرية ، وأن نعبر عن ذواتنا من دون أن يخالجنا أى خوف من محاسبة لاهوتىّ متزمت ، أو فكر جافّ كلّ بضاعته الأدبية قواعد الصرف والنحو لا غير.

أما الجنوبيون فقد ظلّ أغلبهم يجرى على سنن المحافظين فى الشرق ، ويرى رأيهم فى وجوب المحافظة على الديباجة العربية البليغة ، وعلى الجزالة اللفظية ، وقواعد اللغة والعروض والبلاغة . ولكن بينهم من تحرروا من ذلك فتميز إنتاجهم بالجمال والقوة ، لأنهم انطلقوا فيه على سجاياهم إلى حدّ بعيد ، وأغلب إنتاج هؤلاء شعرىّ . وأما النثر فى ما اشتهر من أدب الجنوب فى أقطار الشرق العربى فحظه ضئيل جدًّا بالنسبة إلى الشعر ، اللهم إلا فى صحف الأدب ، وهى كثيرة .

لقد لمعت فى المهجر الشمالى أسماء جبران ، ونعيمه ، وأبى ماضى ، ونسيب عريضة ، ورشيد أيوب ، وعبد المسيح حداد ، وندرة حداد ، ووليم كاتسفليس ، والريحانى ، وأمين مشرق ، ومسعود سماحة ، ونعمة الحاج . والثمانية الأولون هم من أعضاء « الرابطة القلمية » التى أنشئت فى نيويورك عام ١٩٢٠ ، برئاسة جبران وسكرتيرية نعيمه . فهؤلاء سرعان ما انتشر إنتاجهم الأدبى فى الشعر والنثر على السواء ، فى المهاجر وفى الوطن ، وأقبل الناس فى العالَمين : القديم والجديد ، على الارتشاف من مناهله الثرّة ، وعلى تقليده لما رأوا فيه من حيوية دافقة مدهشة . وسرعان ما انتشرت عدوى تقليد الأدب المهجرى فى الشرق وبذلك كان له أعظم الأثر فى صرف الأقلام عن وجهتها الأولى فى اتّباع الأساليب القديمة ، إلى الاهتمام بخلق الشخصية المتميزة فى كل إنتاج أدبى قوى .

ولقد ضرب أدباء المهجر الشمالى فى أكثر الفنون الأدبية ، وجاءوا فيها بأفانين عجاب ، وشقّوا فيها طرقاً وفنوناً جديدة ، حتى لتعدّ مؤلفات بعضهم أحداثاً لها

قيمتها الكبرى فى حياة النهضة الأدبية الحاضرة فى الشرق العربى . لقد نظموا الشعر فتفوقوا فيه ، وأبدعوا فى نظمه وانتقاء مواضيعه وقوالبه ، وكتبوا نثراً عاطفيًّا وتصويريًّا واجتماعيًّا ، فكان نثرهم شعراً رائعاً ساحراً ؛ وكتبوا فى القصة فكانت أقاصيصهم ورواياتهم من أجود ما عرفه الأدب العربى فى فن القصة حتى عهد كتابتها . وقد نهج أغلبهم فى آدابهم النهج الفلسفى ، فكان أدب جبران وأبى ماضى والريحانى ونعيمه ونسيب عريضة – هؤلاء خاصة – يتميز بنزعته الفلسفية ، الروحية أو الاجتماعية ، أو كلتيهما معاً ؛ وإنتاجهم الأدبى بمناحيه المختلفة قد ترك أثره البعيد فى حياة الأدب العربى الحديث ، ويكفيه فضلا أنه فتح الطريق أمام الأقلام الشرقية لتنتج إنتاجاً متحرّراً خصباً ، لا يستعبده التقليد ، ولا يستهويه إلا التطلع إلى الأمام ، حيث الآفاق الرحاب تسطع على هاماتهـــا أشعة الفجر الجديد .

أما المهجر الجنوبى فقد اقتصر أشهر ما ذاع منه على الشعر . وتختلف مواضيع هذا الشعر : ففيه القومى والوجدانى ، والأسطورى والاجتماعى ؛ وفيه فلتات من الشعر الروحى يظهر فى بعضها أثر جبران ونعيمه . ومن أشهر ما عرف من الشعر القومى قصائد الشاعر القروى وإلياس طعمه (أبى الفضل الوليد) : وفرحات ، وعقل الجرّ ، وجورج صيدح ، وجورج الكعدى ، ونصر سمعان ؛ ومن الشعر الوجدانى قصائد لفوزى المعلوف ، وشفيق المعلوف ، والقروى ، ورياض المعلوف ، وإلياس فرحات ، ونصر سمعان ، وصيدح ، وشكر الله الجرّ ، وغيرهم ؛ ومن الشعر التصويرى قصائد لأغلب هؤلاء الشعراء المذكورين وغيرهم ؛ ومن الأسطورى « عبقرى » لشفيق المعلوف ؛ ومن الخيالى والتأملى « على بساط الريح » لفوزى المعلوف ؛ ومن الروحى قسم من « معلّقة الأرز» و « المحراث » لقازان ، وقصائد أخرى عديدة له ولبعض زملائه الآخرين .

وهكذا فقد عالج شعراء المهجر الجنوبى كل المناحى الشعرية تقريباً ، فأجادوا وتفوقوا ، وتركوا لشعرهم دويًّا فى دنيا الضاد . أما النثر فنذكر منه « ثورة قازان » لمحمود شريف ؛ و « نبىّ أورفليس » و « المنقار الأحمر » و « الشبح الأبيض » .

و « جزر الخطيئة » ، لشكر الله الجر ؛ و « من اللحد إلى المهد » لأنطون شكور ؛ و « ذكرى الهجرة » لتوفيق ضعون ؛ « وأدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية » . لجورج صيدح (وقدصدر هذا الكتاب بعد عودة الأديب الكبير إلى الوطن وأعيد طبعه ثلاث مرات) . وهناك عدد من مؤلفات إلياس قنصل ، وأبى الفضل الوليد ، وجبران مسوّح [١] .

والواقع أن كثيراً من أبناء المهجريين قد انصرفوا منذ حين عن الكتابة بالعربية إلى التأليف بالإسبانية أو بالبرتغالية ، ومنهم من نال بين الأجانب مكانة عالية مرموقة فى هاتين اللغتين ، كما نال جبران – خاصة – والريحانى مكانة عالية بين الغربيين بكتاباتهما الإنجليزية . ومن هؤلاء الدكتور منصور الحداد ، الذى « نال جائزة فى الشعر البرتغالى ، ويعدّ من شعراء البرازيل الممتازين » كما ذكرت مجلة « الأديب » مرة ، ومنهم أيضاً سركيس غنام ، وهو معروف باسم « سيسيلوكارتيرو » .

أما إنتاج المهجر الشمالى الذى ضرب فى كل مناحى الأدب ، النثرية والشعرية ، فقد استهدف فى هذه المناحى الأدبية مختلف نواحى الحياة والطبيعة ، ومشاكل النفس الإنسانية ؛ وقد ترك أصحابه فى كل ذلك آثار رائعة . ففى الشعر لدينا « المواكب » لجبران ، وقصائده الفلسفية والوجدانية الأخرى التى نشر أغلبها فى كتابه « البدائع والطرائف » وفى « مجموعة الرابطة القلمية » ؛ ولدينا « الجداول » و « الخمائل » لإيليا أبى ماضى ، مع عدد من قصائد الجزء الثانى من ديوانه ؛ و « الأرواح الحائرة » لنسيب عريضة ؛ و « همس الجفون » لميخائيل نعيمه ؛ ودواوين رشيد أيوب الثلاثة وهى : « الأيوبيات » و « أغانى الدرويش » و « هى الدنيا » ؛ ثم « أوراق الخريف » لندرة حداد ؛ وديوان مسعود سماحة – فى جزأين – و « ديوان نعمة الحاج » (وقد نشر نعمة الحاج ديواناً آخر فى لبنان) . ولا شك فى أن أغلب شعر هؤلاء النوابغ المجلّين ذخائر نفيسة ، وكنوز أدبية باهرة .

وفى النثر الوجدانى والخيالى لدينا عدد من مؤلفات جبران ، والريحانى ، ونعيمه . وهذا النوع من النثر أشبه بالشعر لجماله وموسيقاه وانسجامه .

---

(١) ظهر الكتابان الأخيران بدعوة الشاعر الحرّ إلى الوطن للإقامة النهائية فيه .

وكذلك فى النثر الفلسفى والاجتماعى ترك لنا هؤلاء عدداً من المؤلفات الثمينة النفيسة ، منها : (النبى ، والسابق ، والمجنون ، ويسوع ابن الإنسان ، وآلهة الأرض) وغيرها لجبران ؛ و (الريحانيات ، والنكبات ، وأنتم الشعراء) وكثير غيرها للريحانى ؛ و (المراحل ، وزاد المعاد ، والنور والديجور ، والبيادر ، وصوت العالم) وغيرها لنعيمه .

وفى الرواية والقصة ترك لنا جبران (الأجنحة المتكسرة ، وعرائس المروج ، والأرواح المتمردة ، والعواصف) . وأنتج لنا نعيمه (الآباء والبنون ، وكان ما كان ، وحياة جبران ، ومذكرات الأرقش ، ولقاء) وقصصاً أخرى متفرقة . وخلّف الريحانى (المحالفة الثلاثية فى المملكة الحيوانية ، وخارج الحريم ، والمكارى والكاهن ، وزنبقة الغور ، ووفاء الزمان) . ووضع عبد المسيح حداد « حكايات المهجر» . ورأينا فى مجموعة الرابطة القلمية قصتين رائعتين لنسيب عريضة هما « ديك الجن الحمصى » و « قصة الصمصامة » ؛ وقد يكون له غيرهما .

وإذا كنا نلمس شيئاً من ضعف الحبكة القصصية أو الفن القصصى فى « عرائس المروج » و « الأرواح المتمردة » وبعض القصص الأخرى لجبران ، وفى « المكارى والكاهن » « للريحانى » مثلا ، ففى القصص الباقية غير قليل من مزايا القصة الناجحة ، وعلى الأخص فى أعمال نعيمه القصصية .

وأما المذهب الأدبى الذى يشترك فيه الأدب المهجرى إجمالا ، فهو أولا المذهب الرومنتى الذى تأثر به المهجريون كثيراً فى أفكارهم وأساليبهم ، ثم المذهب الواقعى والقومى ، وقد كانت أساليبهم البيانية غاية فى الجمال والبساطة ، لأنها لم تتقيد بقيود الألفاظ والزركشة اللفظية ، بل أرسِلت إرسالا لتعبر بصدق وبساطة وحيوية عن الفكرة أو العاطفة التى تمليها .

أما الهدف الذى عمل له الجميع باستمرار ونشاط ، فهو خلق أدب حر ، قوى ، يعنى بالمعانى والافكار الكبيرة ، ولا يتقيد بالسفاسف التى تكبل أجنحته دون التحليق والسموّ . ومن هنا كان سر ذيوعه وتأثيره فى النفوس وفى الأقلام .

ويقول ميخائيل نعيمه فى محاضرته حول أدب المهجر الشمالى التى ألقاها بالإنكليزية فى مركز كنيدى الأميركى فى بيروت ، ونشرت مترجمة إلى العربية

فى مجلة (المراحل) البرازيلية ، فى العدد ١٥٩ السنة ١٥ – تشرين الأول ١٩٦٩ .

« إن مواهب أفراد تلك الجماعة ومؤهلاتهم لم تكن فى مستوى واحد ؛ فكان بينهم العبقرى ، مثلما كان بينهم صاحب الموهبة الضحلة . . . وكان من الطبيعى ان تكون القيادة فى أيدى الذين مواهبهم أكثر غزارة ، ومؤهلاتهم الثقافية أكثر عمقاً واتساعاً . وهنا يجدر بى أن أشهد بفضل الريحانى وجبران بنوع خاص ؛ فهما لم يحصلا على قسط من الدراسة ذى بال ، ولكنهما ، بجهادهما الخاص ومواهبهما المتفوقة ، تمكنا من اللغة الإنكليزية ، وغاصا على كنوزها ، فوسّعا فى آفاقهما الثقافية إلى حدّ بعيد ؛ وذلك إلى احتكاكهما بالمجتمعات الأدبية والفنية فى أمريكا ؛ فكان أن أبصر كلّ منهما طريقه باكراً ، واستطاع أن يخلق أدباً يختلف كلّ الاختلاف عن الأدب المعروف فى ذلك الزمان . ولئن كانت أعمالهما الأدبية الأولى دون المستوى الرفيع ، فكان يكفيها أنها وضعت الأسس للنهضة الحديثة ، وكانت بمثابة المشاعل تنير الطريق للأجيال الطالعة » .

٢ – مع الرابطة القلمية فى المهجر الشمالى

فى ليلة العشرين من نيسان ، عام ١٩٢٠ ، ولدت فكرة « الرابطة » فى مجلس ضم باقة طيبة من الشبان اللبنانيين والسوريين ، كانت الغيرة على الأدب العربى تتلهب فى نفوسهم ، والأسف على حالته المؤلمة يلعج فى قلوبهم ، وكل منهم يتلمس أجدى السبل لإقالته من عثرته الطويلة وجموده الثقيل . وسرعان ما التأمت الآراء على استحسان الفكرة ، وعلى مباشرة العمل لأجل تحقيقها . ولم يمض أكثر من أسبوع حتى خرجت الرابطة من حيّز التفكير إلى حقيقة الوجود ، يرئسها جبران « عميداً» ، ويعاونه فى إدارتها ، ميخائيل نعيمه « مستشاراً » ، ووليم كاتسفليس « خازناً » ؛ ويعمل تحت لوائها سبعة آخرون ، يحملون اسم « العمّال » هم : إيليا أبو ماضى ، نسيب عريضة ، وعبد المسيح حداد ، ورشيد أيوب ، وندره حداد .ووديع باحوط ، وإلياس عطا الله .

لم يكن هؤلاء كل أدباء العرب فى نيويورك ، ولا كان كلهم أقدر الأدباء المهاجرين إليها ، فقد كان هناك مسعود سماحة ، وأمين مشرق ، ونعمة الحاج مثلا ، وكان هناك أمين الريحانى الذى كان لقلمه رنين ودوىّ فى الشرق والغرب ، وكان من أكثر الشبان العرب المهاجرين توثباً ، ونشاطاً ، وغيرة على الأدب ، وحرصاً على تطعيمه بلقاح نقى جديد من التفكير المشرق البعيد ، والأسلوب البيانى السهل الجميل . ولكن الريحانى لم يكن على وفاق مع جبران ؛ ثم لقد كان غائباً عن نيويورك حين تأسيس الرابطة . وهكذا لم ينضم إلى هذه « الرابطة القلمية » التى قدّر لها – على قصر عمرها ، وقلة عدد القائمين بها – أن تلعب دوراً بعيد الأثر فى حياة الأدب العربى الحديث .

كان أعضاء الرابطة العشرة « عصبة صغيرة – ، كما يقول نعيمه – تفاوتت قواها ، ولكن توحدت نزعاتها ومراميها » ، « ولم يكونوا متكافئين فى المواهب والإنتاج ، ولكنهم كانوا متقاربين فى الميول الأدبية ، والذوق الفنى » .

كان لا بدّ لهذه الجماعة الصغيرة الخالقة من حديقة ينثرون على ثراها بذورهم ويغرسون فى أديمها أغراسهم . فكانت جريدة « السائح » التى يملكها أحدهم – عبد المسيح حداد – تلك التربة الخصبة ، التى حملت للعالم العربى ثمار قرائحهم اليانعة ، فأدهشته بذلك المحصول الطيب . وقبلها كانت مجلة « الفنون » التى يملكها نسيب عريضة ، هى مسرح أقلامهم ، وميدان قرائحهم الفنية . ولكنها احتجبت قبل نشوء الرابطة .

ومنذ أن ظهرت الرابطة القلمية للوجود ، تكاتفت جهود القائمين بها على « صيانة حرمتها ، ورفعها عن التحذلق والابتذال » . وشرعت « السائح » تنقل إلى العالم نتاج أقلامهم . « وفى صدر كل عام – كما يذكر نعيمه – كانت تصدر عدداً ممتازاً كان يطلع على الأدب العربى كحدث خطير ، فتكتب الصحف فيه فصولا ، وتنقل عنه الشىء الكثير . وهكذا انتشر اسم الرابطة فى العالم العربى وكل مهاجره » .

وفى عام ١٩٢١ ، ظهرت « مجموعة الرابطة القلمية » تحمل عدداً وافراً من . المقالات والقصائد ، بأقلام أعضاء الرابطة ، ما عدا إلياس عطا الله ؛ فهو من

بينهم الوحيد الذى لم يجر قلمه بمقال طيلة مدة عضويته للرابطة . وكانت تلك المجموعة هى الوحيدة التى أصدرتها الرابطة ، ثم لم تتمكن من إصدار غيرها ، لأن المال لم يكن موفوراً فى خزانتها ، فيساعدها على الاستمرار فى هذه الخطة الكثيرة النفع والخير .

كان لجبران فى تلك المجموعة سبعة عشر موضوعاً ، من النثر والشعر ، ولنعيمه ثمانية موضوعات ، ولرشيد أيوب ثمانى قصائد ، ولندرة حداد أربع قصائد ، ولعبد المسيح قصتان قصيرتان ، ولوليم كاتسفليس ثلاث مقالات نثرية ، ولوديع باحوط مقال واحد بعنوان « البرغشة » ، ولأبى ماضى خمس قصائد ، ولنسيب عريضه سبعة موضوعات : أقصوصتان وخمس قصائد .

ولقد ظلت الرابطة القلمية حيّة بأعضائها العشرة نحو إحدى عشرة سنة — من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣١ — ثم تبعثرت حباتها ، حين راح مقص الموت يقلّم اغصان تلك الدوحة الفارعة ، وهى أغنى وأسخى ما تكون بالثمار الطيبات ، مبتدئاً بعميدها جبران خليل جبران ، ثم تلاه برشيد أيوب ، وإلياس عطا الله ، ونسيب عريضة ، ثم ندرة حداد ، فوليم كاتسفليس ، فوديع باحوط ، فإيليا أبى ماضى ؛ ثم توفى عبد المسيح حداد فى نيويورك عام ١٩٦٣ . وكان قد باع فى اواخر عام ١٩٥٧ حقوق جريدته « السائح » — حديقة الرابطة القلمية المعطاء — إلى راجى الظاهر ، صاحب جريدة « البيان » ، فاندمجت الجريدتان فى واحدة هى (البيان) ومضى عبد المسيح يعمل فيها حتى وفاته .

أما ميخائيل نعيمه فقد عاد بعد وفاة جبران ، إلى قريته اللبنانية « بسكنتا » ، حيث يعيش إلى الآن .

اما أكثر عمّال الرابطة نشاطاً فى الإنتاج الأدبى ، وغزارة فى المادة ، وأبعدهم أثراً فى حياتها ، وفى الأدب المهجرى ، فكانوا خمسة بنوع خاص ، وهم :

جبران ، ونعيمه ، وأبو ماضى ، ويليهم نسيب عريضة ، ورشيد أيوب ، فهؤلاء كان يتميز إنتاجهم بالخلق والإبداع ، من جهة ، وبروعة التجديد من جهة أخرى . وسرعان ما انتشر أدبهم فى الدنيا العربية كلها ، لما يحمله من بذور الحياة الجديدة .

ولا بد لنا الآن من ذكر المؤلفات التى صدرت – حتى يومنا هذا – لعمّال الرابطة القلمية ، لكى تكون دراستنا هذه شاملة وافية قدر الإمكان .

أما جبران فقد كانت كتاباته قبل إنشاء الرابطة بالعربية . فصدر له فيها (الموسيقى ، عرائس المروج ، الأرواح المتمردة ، الاجنحة المتكسرة ، دمعة وابتسامة ، المواكب) وعدد كبير من المقالات والروايات مما كان يكتبه للسائح وغـــيرها .

وأما بعد إنشاء الرابطة فلم يصدر له بالعربية سوى « العواصف » الذى طبعته « دار الهلال » بمصر ، و « البدائع والطرائف » الذى نشره يوسف توما البستانى بمصر أيضاً . وأغلب ما فى هذا الكتاب مأخوذ من « العواصف » ، فلم يكن فى الأصل كتاباً مستقلاً من وضع جبران . وبقية مؤلفاته كان يضعها باللغة الإنكليزية ، غير أن الأرشمندريت أنطونيوس بشير – المطران بشير فيما بعد ، وقد توفى عام ١٩٦٦ – كان يعنى بترجمتها إلى العربية بلغة مشرقة تشبه كثيراً لغة جبران ؛ وقد عرض بعضها على جبران نفسه قبل طبعها . وتلك الكتب المترجمة ، التى دخل أغلبها فى حساب الأدب العالمى ، هى (المجنون ، السابق ، النبى ، رمل وزبد ، يسوع ابن الإنسان ، آلهة الأرض) . وهناك كتابان آخران هما : (التائه[1] . وحديقة النبى) ، وقد طبعا بالإنكليزية – وهى لغتهما الأصلية – بعد وفاة جبران .

أما ميخائيل نعيمه فقد ظهر له حتى اليوم : (الآباء والبنون – مسرحية كتب بعض حوارها بلهجة لبنان الدارجة – الغربال ، المراحل ، كان ما كان ، زاد المعاد ، جبران خليل جبران ، البيادر ، لقاء ، الأوثان ، كرم على درب ، همس الجفون ، صوت العالم ، مرداد – بالإنكليزية والعربية – مذكرات الأرقش ، النور والديجور ، دروب ، فى مهب الريح ، سبعون – ثلاثة أجزاء – وعدد آخر من الكتب) . وهذه المؤلفات كلها لم يصدر منها عن المهجر سوى الكتابين

---

(١) علمت أن كتاب « التائه » قد ترجم إلى العربية ، كما علمت أن الأديب الدكتور ثروت عكاشة قد ترجم كتاب « النبى » ترجمة جديدة ، وكتاب « حديقة النبى » وكلا الكتابين مصدّر بمقدمة تحليلية ، وقد ظهرا بنصيهما الإنجليزى والعربى مزينين بالرسوم وبلوحات بريشة جبران نفسه وذلك فى منشورات « دار المعارف بمصر » (ع . ن) .

الأولين ، ولو أن أحدهما – وهو الغربال – قد طبع فى مصر ، وأما الباقى فقد صدر بعد عودة نعيمه إلى لبنان ، وبعضها صدر فى السنوات الأخيرة .

وأبو ماضى صدرت له فى حياته أربعة دواوين شعرية : الأول – وهو « تذكار الماضى » – طبع سنة ١٩١١ فى مصر ؛ وأما الجزء الثانى من « ديوان أبى ماضى » وكذلك « الجداول » و « الخمائل » فقد صدرت فى نيويورك . وبعد وفاته صدر له فى بيروت ديوان « تبر وتراب » . أما النثر فلم يبرز فيه أبو ماضى كما برز فى الشعر ، على الرغم من أنه استثمر يحرر جريدته « السمير » نحو ثمانية وعشرين عاماً .

ولنسيب عريضة ديوان شعرى صدر بعد وفاته بأيام قلائل بعنوان « الأرواح الحائرة » ، ورواية مترجمة عنوانها « أسرار البلاط الروسى » . ولم يجمع شىء من تأليفه النثرى عدا ذلك فى كتب مستقلة ، فيما نعلم ، على كثرة ما له من الإنتاج النثرى الجيد ، ولا سيما فى القصة ، كما رأينا فى قصة « ديك الجن الحمصى » وقصة « الصمصامة » فى مجموعة الرابطة القلمية .

ولرشيد أيوب ثلاثة دواوين شعرية ، هى (الأيوبيات ، أغانى الدرويش ، هى الدنيا) .

وعبد المسيح حداد له كتاب قصصى بعنوان « حكايات المهجر » ، عدا مقالاته التى كان يوالى نشرها فى جريدته « السائح » ، ثم فى أعداد جريدة « البيان » . ونشر له فى سوريا كتاب آخر بعنوان (انطباعات مغترب) . وندرة حداد له ديوان شعرى بعنوان « أوراق الخريف » . وأما وليم كاتسفليس فلم يجمع شيئاً من خطبه ومقالاته التى اشتهر بها ، غير أن له كتاباً بالإنكليزية عنوانه « حضارة العرب » – كما ورد فى كتاب « الناطقون بالضاد فى أميركا » لصديقنا « البدوى الملثم » .

وأما وديع باحوط فلا نعرف له أكثر من مقال « البرغشة » المنشور فى مجموعة الرابطة القلمية . وأما إلياس عطا الله فلم ينتج شيئاً منذ تأسيس الرابطة ، ولم أقرأ له قط سوى مقال قصير بعنوان « الله » كان قد نشره عام ١٩٠٨ فى أحد أعداد « مجلة سركيس » التى كانت تصدر فى القاهرة

(هذه إلمامة عابرة عن الرابطة القلمية ، لا يسعنى إلا أن أختمها بشكر الأستاذ نعيمه ، فقد استفدت فيها كثيراً من كتابه عن جبران ، ومن رسائله الخاصة إلىّ ، وقد جلا فيها لى نقاطاً هامة عن حياة الرابطة ورجالها . ولولا فضله هذا لكان من العسير الوقوف على نشأة الرابطة ، وأعمالها ، وأسماء كل أعضائها) .

٣ – مع العصبة الأندلسية فى المهجر الجنوبى

بين الذين نزحوا عن شاطئ البحر الأبيض المتوسط الشرقى إلى ضفاف الأمازون فى البرازيل ، فئة من ذوى المواهب الأدبية ، راحوا يستقطرون مواهبهم ونشاط أقلامهم فى جهاد الحياة ، وصراع العيش . وقد عانوا كثيراً فى جهادهم العنيف ، لأن شق القلم هو أضعف مصادر الرزق ، فى الغالب ، وأشقها . وقد كان الأدب فى أول أمره عندهم يعتمد على إنشاء الصحف ، مهما يكن نوعها ، ومحاولة كسب عطف الجماهير للارتزاق عن طريقها . وظل الأدب كذلك ، فى الأغلب ، فترة طويلة تمتد من أواخر القرن التاسع عشر – بداية عهد الهجرة – حتى الربع الثانى من هذا القرن العشرين ، حين قيّض له بعض ذوى الشعور النبيل ، والغيرة على كرامة الأدب ، فحاولوا أن يسموا به من حضيض الابتذال فى ميدان الصحافة المرتزقة ، إلى حيث يصبح شيئاً ذا قيمة فى توجيه الحياة ، وأثر فى تهذيب الذوق الفنى ، وإرهاف الحس الأدبى ، والشعور الاجتماعى .

وطبعاً لم يكن مقدراً لمثل هذه الغيرة المخلصة أن تنجح لو لم يدعمها البذل السخىّ والرعاية الكريمة . والمال والإخلاص متى اجتمعا صنعا المعجزات ؛ وقد اجتمع كلاهما للشاعر ميشال المعلوف ، شقيق الشاعر قيصر المعلوف ، وخال الشعراء الإخوة الثلاثة فوزى وشفيق ورياض المعلوف ؛ فاستطاع أن يخدم الأدب العربى فى المهجر الجنوبى خدمة جليلة .

لقد كان ميشال أديباً صادق الموهبة الأدبية ، وقد نظر حوله فرأى الأدب بين إخوانه المهاجرين وسيلة للتجارة الوضيعة فى الغالب ، أو للمهاترة والمشاحنة ؛

وكان على بسطة فى المال ، ورحابة فى النفس ؛ فتألم لما رآه من حال الأدب ، وقرر مع بعض الرفاق أن يعملوا عملا حاسماً فى توجيهه والسمو به . وسرعان ما تم له ما أراد ، إذ التفّت حوله نخبة من خيرة الأدباء المهاجرين ، يؤمنون بفكرته ، ويصبون إلى التعاون فى رابطة واحدة تقوم لهم مقام « الرابطة القلمية » فى أميركا الشمالية لجبران وإخوانه . وكان صاحب الفكرة فى الأصل هو الشاعر شكر الله الجرّ ، صاحب مجلة « الأندلس الجديدة » فى ريودى جانيرو . وقد خف بنفسه إلى سان باولو لتحقيقها ، فوجد لدى ميشال معلوف الاستعداد الكلى للتنفيذ .

فكرة نبيلة ولا ريب . وكل فكرة خيّرة لا بد من أن تجد لها صدى فى النفوس . ولذلك سرعان ما بدأ ميشال وشكر الله وزملاؤهما العمل بإنشاء رابطة لهم ، أطلقوا عليها اسم « العصبة الأندلسية » . وأرادوا أن ينشروا رسالتها ويذيعوا أدبها ، فأنشأوا لها مجلة دعوها « العصبة » ، كما كان للرابطة القلمية مجلة تؤدى رسالتها الأدبية الكبرى .

ولدت « العصبة الأندلسية » فى مطلع كانون الثانى سنة ١٩٣٢[١] . وكانت تتألف حين تأسيسها من : ميشال معلوف ، (أول رئيس لها) ، داود شكور (نائب رئيس) ، نظير زيتون ، (أمين السر) ، يوسف البعينى ، (أمين الصندوق) ، حبيب مسعود[٢] ، (خطيب) . والأعضاء : نصر سمعان ، حسنى غراب ، يوسف غانم ، حبيب مسعود ، إسكندر كرباج ، انطون سليم سعد ، شكر الله الجر .

ومنذ أن تأسست العصبة أخذ ميشال معلوف يرعاها بعنايته وبذله المتواصل ؛ فاتخذ لها مقرًّا فى عمارة فخمة ، يتألف من غرفتين وقاعة واسعة ، جهّزت جميعها بأفخر الأثاث . وقد ظلّ ميشال ينفق عليها من ماله حتى عام ١٩٣٨ ، حين عاد إلى لبنان ، كأنما ليتزوّد من رؤية بلاده قبل رحلته الطويلة إلى الأبدية ؛ فقد انتقل إلى رحمة الله إبان الحرب العالمية الثانية فى مسقط رأسه زحلة .

---

(١) و (٢) شكر الله الجرّ : « حقائق عن العصبة الأندلسية » ؛ مجلة الضاد . حلب . العدد المزدوج (٩ و ١٠) تشرين الثانى وكانون الأول ١٩٦٩ .

ولكن العصبة لم تقتصر على الأعضاء السابقين ، فما كاد يظهر فضلها ، ويذيع اسمها بعد إنشائها بفترة قصيرة ، ولا سيما بعد إنشاء مجلتها المشهورة المعروفة باسمها ، حتى تسارع كبار الأدباء المهاجرين ، فانضمّ إليها منهم نخبة من أقدر الأدباء والشعراء ، هم : شفيق المعلوف ، والشاعر القروى رشيد سليم الخورى ، وأخوه قيصر سليم الخورى المعروف باسم الشاعر المدنى ، وتوفيق قربان ، ونعمة قازان ، وإلياس فرحات ، وعقل الجر ، ونجيب يعقوب ، وجورج أنطون كفورى ، وأنيس الراسى ، وجورج الخورى كرم ، وجبران سعادة ؛ ثم تبعهم توفيق ضعون عام ١٩٣٤ ؛ وكذلك تبعهم بعد سنوات رياض المعلوف ، وجورج ليان ، وسلمى صائغ ، وفؤاد نمر . وهكذا أصبحت « العصبة الأندلسية » رابطة عظيمة الأهمية لأدباء العرب المهاجرين ، وأصبحت دارها ندوة لهم ، ومجلتها مسرحاً لخواطرهم وخلجات قلوبهم ، وملتقى لأفكارهم . وتبلور بواسطتها الأدب العربى فى البرازيل ، وأصبح مدوّى الصوت ، بعيـــد الشهرة ، بارز الأثر فى تاريخ الأدب العربى الحديث .

أما مجلة (العصبة) فقد تسلم رئاسة تحريرها منذ إنشائها الأديب حبيب مسعود ، لما كان يعرفه الجميع من أهليته وكفايته ؛ فقد تمرّس من قبل بالصحافة وبصناعة القلم ، وكان من فرسانهما المجلّين . وظل يعمل بنشاط وغيرة حتى كان عام ١٩٤١ حين أصدر رئيس جمهورية البرازيل أمراً يحظر فيه إصدار أى صحيفة أو منشور أو كتاب فى غير لغة البلاد الرسمية . فتوقفت العصبة كما توقف غيرها من الصحف العربية عن الصدور . ولكنها لما عادت من جديد فى عام ١٩٤٧ بهمة شفيق المعلوف وبذله السخى ، عاد حبيب مسعود إلى رئاسة تحريرها حتى عادت إلى التوقف نهائيًّا عام ١٩٥٤ ثم انصرف الأستاذ مسعود بعد ذلك إلى رئاسة تحرير مجلة « المـــراحل » التى تصدرها السيدة مريانا دعبول فاخورى فى البرازيل ؛ ولم يطل فيها مقامه ، ثم هجرها للعمل فى التجارة ، حتى عاد إلى لبنان أخيراً .

أما رئاسة العصبة فقد تسلمها ، بعد رئيسها الأول ، الشاعر القروى ، ومن بعده تسلمها شفيق المعلوف ، وهو آخر رئيس لها ؛ وكان يبذل فى سبيلها وفى سبيل

مجلتها – حتى توقفها عن الصدور – من ماله ونشاطه .

فقدت العصبة بتوالى الأيام عدداً من أعضائها ، فبعضهم ارتحلوا عنها إلى الأبدية ، وهم : ميشال المعلوف – مؤسسها – ، جورج الخورى كرم ، جورج أنطون الكفورى ، عقل الجر ، أنيس الراسى ، أنطون سليم سعد ، يوسف البعينى ، إسكندر كرباج ، حسنى غراب ، سلمى صائغ ، جورج حسون معلوف ، جورج قدوم . وبعضهم انفضّوا من حولها لأسباب خاصة ، ومنهم نعمة قازان ، وإلياس فرحات[1] . وتوفيق قربان ؛ وبعضهم عاد إلى الشرق ، ومنهم : رياض المعلوف ، ونظير زيتون ، وجورج ليان ، ورشيد سليم خورى ، وشكر الله الجرّ . وقد انتقل نظير زيتون وشكر الله الجرّ إلى رحمة الله

أما أشهر المؤلفات التى صدرت لأعضاء العصبة فهى : « عبقر » ملحمة شعرية لشفيق المعلوف ، و « نداء المجاذيف » ، و « لكل زهرة عبير » و « عيناك مهرجان » و « سنابل راعوث » له أيضاً ؛ و « ديوان القروى » للشاعر القروى ، وقد جمع فيه دواوينه السابقة كلها ، وهى (الرشيديات ، القرويات ، الأعاصير ، اللاميات الثلاث) ؛ و « ديوان فرحات » فى ٣ أجزاء ، و (رباعيات فرحات ، وأحلام الراعى) لإلياس فرحات ؛ و « معلّقة الأرز » و « المحراث » لنعمة قازان ؛ و (خيالات ، وزورق الغياب) لرياض المعلوف ؛ و (جبران حيًّا وميتًا ، وما أجملك يا لبنان) لحبيب مسعود ؛ و (ذكرى الهجرة ، وسيرة حياتى) لتوفيق ضعون ؛ و « روسية فى موكب التاريخ » لنظير زيتون ، و « صور وذكريات » لسلمى صائغ ؛ و « أقاصيص » لجورج حسون معلوف ؛ و (الروافد ، وزنابق الفجر ، وأغانى الليل ، وقرطاجة ، ولابيس الكورنتيّة – شعراً – ونبيّ أورفليس ، والمنقار الأحمر ، والوشاح الأبيض ، وجزر الخطيئة ، – نثراً –) لشكر الله الجر و (ديوان عقل الجر) ، وقد أصدره أخوه شكر الله عام ١٩٦٤ فى بيروت ؛ و (ديوان نصر سمعان) لنصر سمعان ، وقد صدر بعد وفاته . وهناك عدد آخر

---

(١) يقول فرحات فى كلمة له فى مجلة (الضاد) الحلبية (العدد المزدوج ١١ و ١٢ – تشرين الثانى وكانون الأول ١٩٦٨) إن « كل ما عملته العصبة أنها جمعت من الأدباء خليطاً متنافراً ، ووقفت حائلاً دون نشر الشعر العربى الحماسى ، ودون الروح العربية المتوثبة » ؛ وهذه تهمة ظالمة دون ريب (الناعورى).

من المؤلفات لهؤلاء وسواهم .

وأما الباقون من أعضاء العصبة ، الشعراء منهم والناثرون ، فلهم قصائد كثيرة وفصول متعددة منتشرة فى الصحف . وأغلبها لم يجمع فى كتب مستقلة .

وثمة بادرة جديرة بالملاحظة ، وهى أن عدداً غير قليل من هؤلاء الادباء والشعراء كان حظّهم من التحصيل العلمى المدرسى ضئيلاً جداً ، ولكن مواهبهم الطبيعية كانت كبيرة ، مما ساعد على ظهورهم وذيوع صيتهم . فإلياس فرحات مثلا – وهو من أكبر شعراء المهجر الجنوبى – غادر المدرسة وهو فى سن العاشرة فقط ، وقد بدأ حياته الادبية بنظم الازجال العاميّة ، ولكنه ثابر على المطالعة حتى صقل لغته وأصبح شاعراً من الطراز الأول . وكذلك قُلْ فى زميله الشاعر نصر سمعان ، وفى آخرين غيرهما .

٤ – أدباء آخرون فى المهجر

عرف المهجر ، عدا أعضاء « الرابطة القلمية » فى الشمال ، و « العصبة الأندلسية » فى الجنوب ، عدداً آخر من الادباء والشعراء ، بينهم غير قليل من أصحاب الشهرة العريضة فى الأدب المهجرى ، إذ أنهم أسهموا فيه إسهاماً ذا أثر بعيد ، وكانت لهم مؤلفات ودواوين شعرية .

فهناك فى الشمال أمين الريحانى ، ونعمة الحاج ، ومسعود سماحة ، واسعد رستم ؛ وقد تكلمنا عنهم وعن أدبهم فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

وهناك الدكتور فيليب حتى ، المؤرخ والأديب العربى الشهير ، الذى خدم العرب وتاريخهم خدمات عظيمة ، بمحاضرته الكثيرة ، وبمؤلفاته ، وعلى الأخصّ بكتابه النفيس « تاريخ العرب » الذى صحّح للغربيين ما رسخ فى أذهانهم طويلا من سوء فهم للعرب وتاريخهم الطويل ؛ وقد وضعه بالإنجليزية – مطولا ، ومختصراً – ثم ترجم إلى العربية . وقد كان الدكتور حتى رئيس الدائرة الشرقية فى جامعة برنستون مدة طويلة ، كان فيها دائماً مفخرة من مفاخر الأمة العربية .

واشتهر فى الشمال كذلك الشاعر أمين مشرق ، وهو شاعر رقيق العبـارة ، جميل الخيال وله قصائد غنائية ، ومقالات نثرية كثيرة فى صحف المهجر . ومن قصائده الجميلة قصيدة بعنوان « القيثارة » ، وقصائد عدة فى الحنين إلى الوطن ، وقصيدة قالها فى المجاعة التى أصابت لبنان إبّان الحرب العالمية الأولى ، ومن الأبيات الرائعة فيها قوله :

خُلِقَ الرَّدَى للضَّعْفِ ، لا تُجْدِى الضَّعيفَ تَضَرُّعاتُ
من ليسَ يحميـــه الحُسا مُ فليس تحميـــهِ الصَّلاةُ

وقد توفى أمين بعد أن صدمته سيارة فى مدينة نيويورك ، فماتت معه تلك الشاعرية الجميلة ، التى كانت تجود بأطيب الشعر وأرقّه .

وكان هناك أيضاً حبيب إبراهيم كاتبه ، وهو من قرية يبرود فى سوريا ، وكان من الأدباء البارزين فى النثر . وقد أراد قبل وفاته العكوف على وضع كتاب فى الأدب المهجرى بالاشتراك مع عبد المسيح حداد ، تنشر فصوله أولا فأولا فى جريدة « السائح » ، ولكن المنية عاجلته قبل أن ينشر الفصل الأول من ذلك الكتاب ؛ وكان قد نشر عدداً من المؤلفات الأدبية باللغة الإنجليزية .

وحينما عكف نسيب عريضة على جمع ديوانه « الأرواح الحائرة » وطبعه ، كان حبيب كاتبه هو الذى وضع مقدّمته .

وعرف المهجر الشمالى كذلك أدباء وشعراء آخرين ، نذكر من بينهم الشاعر قيصر وحيد[1]. وهو معلم قديم ، تتلمذ عليه الشاعر القروى رشيد سليم خورى فى طفولته فى لبنان . وكان ينشر الكثير من شعره فى صحف المهجر ، ولا سيما فى جريدة « السائح » ، بعد أن اختفى طويلا من الميدان الأدبى ، ثم عاد إليه عام ١٩٥٣ بعد زيارة تلميذه الشاعر القروى للولايات المتحدة .

ومنهم كذلك الدكتور سليمان داود ، وهو شاعر وطنىّ معروف ، محتدم الغيرة على قضايا وطنه العربىّ ، وله فى الوطنية شعر غير قليل ، وإن يكن قليل النشر فى الصحف وكان منهم أيضاً جليل عساف ، وهو قليل الإنتاج لانصرافه إلى أعماله التجارية .

---

(١) توفى بعد أن تجاوز الثمانين ، فى صيف عام ١٩٥٨ .

ولعل من الإنصاف أن أشير كذلك إلى بعض أصحاب الصحف المهجرية هناك ، ممن كان لأقلامهم فضل كبير فى خدمة اللغة العربية وآدابها ، والحفاظ على لغة الضاد عالية اللواء فى تلك الديار النائية . ومن هؤلاء نذكر نعوم مكرزل مؤسس جريدة « الهدى » ، وسلّوم مكرزل ، ونجيب دياب صاحب « مرآة الغرب » ، وراجى الظاهر صاحب جريدة « البيان » . وهناك صحفيون وكتّاب آخرون أسهموا فى هذا الميدان الجليل إلى جانب صاحبى « السمير » و « السائح » اللذين كانا من أعضاء « الرابطة القلمية » .

أما المهجر الجنوبى فنجد فى رأس قائمة الشعراء فيه شاعراً شاباً التوى عوده أينع ما يكون الشباب وأنضره ، هو فوزى المعلوف ، وقد توفى قبل أن تعرف « العصبة الأندلسية » سبيلها إلى الوجود . ونجد فيه كذلك إلياس طعمة الذى بدل اسمه فصار يدعى « أبا الفضل الوليد » ، ومحمود شريف ، وموسى كريم ، ومريانا دعبول فاخورى ، وجورج صيدح ، والشقيقين زكى قنصل وإلياس قنصل ، ويوسف صارمى ، وعبد اللطيف الخشن ، وفيليب لطف الله ، ونزيه سلامه ، وجورج كعدى . وقد تحدثنا على هؤلاء جميعاً وعلى أدبهم فى القسم الثانى من هذا الكتاب .

وكان هناك كذلك الشاعر قيصر المعلوف ، الذى أنشأ فى مطلع هذا القرن ندوة أدبية دعاها « رواق المعرّى » . وكان رفاقه فى تلك الندوة[1] جورج عساف ، نعوم لبكى ، خليل كسيب ، يوسف ناصيف ضاهر ، فارس نجم ، أنيس يواكيم الراسى ، وديع فرح ، أسعد بشارة ، إسطفان غلبونى ، وسواهم . وقد ترجم قيصر رباعيات الخيام شعراً ؛ وله أكثر من ديوان مطبوع .

وكان من الأدباء المعروفين فى البرازيل أيضاً أنطون أنيس شكّور ، من حمص ؛ وقد هاجر أولا إلى الأرجنتين ، ثم إلى ريودى جانيرو فى البرازيل ، وهناك أنشأ جريدة ودعاها « الميماس » ، ولكنه خسر فيها النقود القليلة التى كانت لديه . فعمل ملتزماً لمقصف النادى السورى اللبنانى ، فكان يقدم الطعام والشراب

---

(١) مجلة العصبة – العدد المزدوج (٧ و ٨) السنة ١٣ – تشرين الثانى (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٣ .

لرواد النادى ، إلى ان اكتشفه الشاعر نعمة قازان ، فوجد لديه موهبة ادبية جميلة ، فمد له يد العون ، وطبع له روايته « من اللحد إلى المهد »[١] . وقد توفى انطون شكّور فى البرازيل .

ومثلما كان لنعمة قازان فضل إبراز موهبة انطون شكور كذلك كان له فضل على أديب آخر هو محمود شريف – الذى اشرنا إليه – وهو الاديب المهجرى الوحيد من أبناء مصر[٢] . فيما نعرف – وكان من تقدير محمود شريف لفضل نعمة قازان ان وضع قلمه فى خدمته ؛ فألف كتاباً ضخماً حلل فيه قصيدة قازان المطولة « معلقة الأرز » ، ودعاه « ثورة قازان فى معلّقة الأرز » ودافع فيه عن قازان بكل قوة ، وهاجم عدداً من الأدباء الآخرين . ولم يكتف بذلك الكتاب ، بل نشر مقالات اخرى متعددة فى صحف المهجر يمجّد فيها نعمة قازان ويرفعه إلى قمة الشاعرية والعظمة . ولكننا لا ندرى ما الداعى إلى كل ذلك ولم تكن فى الميدان معركة إلا من جانب واحد ! . .

وعرفت البرازيل كذلك أديبين زاولا مهنة القلم مدة طويلة ، ولكن لم يكن لهما اى اثر فى التجديد الادبى ، وهما : خليل سعادة ، صاحب معجم سعادة ، وهو من طراز الكتّاب القدماء الذين تهمّهم اللغة قبل المعانى ؛ ورشيد عطية الذى توفى بعد عمر طويل قضاه فى خدمة الصحافة ، وصناعة القلم فى المهجر .

والذى يعرف صحف الادب الكبرى فى البرازيل – مثل : العصبة ، والشرق ، والمراحل – يجد فى أعدادها أسماء كثيرة اخرى وافرة الإنتاج . ومن أبرز هذه الأسماء : فارس دبغى ، وموسى الحداد ، وسامى عازر ، وناصر شاتيلا ، وسعيد اليازجى ، ووهيب عودة ، ويوسف فاخورى ، واسد موسى ، وتوفيق بربر ، وغيرهم . والأول من هؤلاء اديب غزير الإنتاج فى الصحف ، وقد هاجر من بلدته « حاصبيا » إلى البرازيل عام ١٩٠٩ ، وعمل فى حقل الصحافة طويلا . وأما الباقون فإنهم

---

(١) سيجد القارئ بحثاً خاصًّا عن هذه الرواية فى فصل لاحق .

(٢) الدكتور أحمد زكى أبو شادى لا نعده أديباً مهجرياً ، لأنه حين هاجر عام ١٩٤٦ كان فى قمة نضوجه الفكرى ، فلم تؤثر الهجرة فى تفكيره ، ولم يظهر لها أى أثر فى أدبه وشعره . ولم تكن السنوات القليلة التى قضاها فى هجرته – وهى ثمانى سنوات فقط إذ توفى عام ١٩٥٤ – كافية للتأثير فى أدبه (ع . ن .).

يكتبون الشعر والنثر معاً ، ولأكثرهم فى الشعر قصائد جميلة ، ولكننا لا نعرف لهم شيئاً من الآثار المطبوعة فى كتب .

وكان هناك الطبيب الشاعر جورج صوايا ، الذى كان يمارس الطب والشعر معاً وكذلك الأديب جورج عساف ، الذى هاجر إلى الأرجنتين عام ١٩٠٣ ، وعمل فى الصحافة العربية ، وكان يرأس تحرير جريدة « السلام » فى بوينس أيرس . وهو كاتب وشاعر .

وبعد فليس هؤلاء كل أدباء المهجرين الشمالى والجنوبى من غير أعضاء « الرابطة القلمية » و « العصبة الأندلسية » ، ولكننا آثرنا الاكتفاء بأبرز الأدباء والشعراء ؛ ولمن يشاء المزيد أن يعود إلى صحف الأدب المختلفة هناك ، ليرى فيها المزيد من الأقلام التى لا تفتأ تكتب شعراً ونثراً .

٥ – العنصر النسائى وإسهامه فى الأدب المهجرى

لا بد لنا ونحن ندرس الأدب المهجرى من جميع أطرافه – دراسة للتاريخ قبل أن تكون للنقد – من ذكر بعض النساء اللواتى أسهمن فيه ، وإن يكن إسهامهن محدود المدى . على أنه لا بد لنا كذلك من الاعتراف بأن أثر المرأة فى هذا الميدان لم يبلغ شأو أثر الرجل ، فلم تظهر فى المهجر كاتبة لها مثل أدب جبران ، أو نعيمه ، أو الريحانى ؛ ولا شاعرة مثل فوزى المعلوف ، أو القروى ، أو فرحات ، أو غيرهم من هذا الطراز الأدبى العالى ؛ ولم تكن المرأة عنصر تأثير فى أدب المهجر ، بل كانت عنصر تأثّر فحسب . تترسم فى حياتها الأدبية خطى الرجل . ولست أعرف فى أدبيات المهجر إلا الناثرات ، فلم أقع فيما قرأت لهن على شىء من الشعر ، أو على ما يستحق العناية منه .

ومن بين مهاجرى الشمال لا أعرف أية امرأة أسهمت بقلمها فى خدمة الضاد إسهاماً يستحق الذكر ، وأما اللواتى برزت أسماؤهن فى ميادين الصحافة والأدب فهن من المهجر الجنوبى ، وكلهن ممن أقمن فى البرازيل ، وشاركن الرجال هناك فى مهنة القلم .

من هؤلاء النسوة الأديبات أذكر بعض من نلن شهرة عن طريق الصحافة المهجرية ، كالسيدة سلمى صائغ ، مؤلفة كتاب « ذكريات وصور » ؛ وقد كانت عضواً فى العصبة الأندلسية ، ثم عادت إلى لبنان ، وهناك انتقلت إلى الرفيق الأعلى ؛ وكانت قد برزت مقدرتها الأدبية قبل هجرتها إلى البرازيل . والسيدة مارى يني عطا الله ؛ والسيدة مريانا دعبول فاخورى ، صاحبة مجلة « المراحل » التى تصدر فى سان باولو . والسيدة مريانا تكتب فى كل عدد من أعداد مجلتها — أو على الأقل فى القسم الأكبر من أعدادها — فتضع الافتتاحيات أحياناً ، أو تكتب فى النقد ، أو فى المواضيع الوطنية أو الاجتماعية ، وما إلى ذلك .

والسيدة أنجال عون شليطا ، الأديبة والفنانة معاً ؛ وكانت تنشر فى الصحف كثيراً ، — ولا سيما فى مجلة « المراحل » — وتسهم فى الخدمة الاجتماعية ، وقلمها يجول فى مختلف الشؤون الاجتماعية ، وفى النقد الأدبى أحياناً .

والسيدة سلوى سلامة أطلس ، صاحبة مجلة « الكرمة » التى عاشت أكثر من ربع قرن . وحينما أكملت المجلة ربع قرن من عمرها ، أقيم لتلك المناسبة حفل رائع تكريماً لصاحبتها ، وقدمت لها الجالية العربية بيتاً لائقاً قدّم لها مفتاحه الذهبى فى حفلة خاصة .

وكانت سلوى قد ولدت فى مدينة حمص ، فى سوريا ، ورعاها شقيقها جورج أطلس ، وأدخلها المدرسة فى زمن كانت المرأة فيه أسيرة البيت ، وسرعان ما برز نبوغها . وقد عملت معلّمة فى زحلة ، وفى حمص . وفى عام ١٩١٣ هاجرت إلى البرازيل مع زوجها جورج أطلس . واشتهرت بالخطابة والصحافة . وتوفيت فى البرازيل .

وقد تكون هناك نساء أخريات ، ولكننا لم نتمكن من الاطلاع على شىء من آثارهن القلمية .

ولعل خير تعريف بهؤلاء الأديبات هو أن نقدم نماذج من أدبهن ، تظهر لنا طرائق تفكيرهن ، وأساليبهن فى الكتابة ، وسهولة عبارتهن .

وفى ما يلى قطعة لسلمى صائغ بعنوان « النصف المنسى » ، تتحدث فيه على

المرأة وحقها فى الحرية .. وقد نشرت هذا المقال فى مجلة « العصبة » عام ١٩٤٩ فى ذكرى وفاة الزعيمة النسائية المصرية هدى شعراوى .

« ماتت هدى شعراوى ، ومات قبلها قاسم أمين ، ومات قبلها الإمام بطرس البستانى ؛ ماتوا جميعاً وأصواتهم تدوّى : يا قوم ! تعهّدوا الأساس ، تعهّدوا الأسرة ، تعهدوا المرأة لأنها نصف الأسرة ، ونصف الأمة ، ونصف الدولة .

« وستظلّون يا سادتى الرجال – أرباب الأمر فى لبنان وسوريا ومصر والعراق والحجاز واليمن – ستظلّون تبنون على الرمال ، حتى تعيدوا – كلّ فى وطنه – إلى نصف الأمة ونصف الدولة حقها الشرعى الصريح السليب ، الذى طالبت به هدى شعراوى ، وظلت تطالب حتى طارت روحها إلى خالقها .

« تقول إحدى النساء الظريفات : « ليس للرجل عيوب لا تحتمل . . . وكل ما يفعله من الأذى هو نتيجة النسيان » . . .

« ولكن من النسيان ما يضحك ، وآية ذلك انضمام لبنان ومعه الدول العربية إلى منظمة الأمم المتحدة ، وقبوله ميثاقها الكامل ، وفيه نصّ صريح على تقديس الحريات ، وأولها حرية الجنس – والجنس هنا يعنى الرجل والمرأة – . . . ولكن لبنان مع إخوانه ينسون هذا الميثاق ساعة يحظرون على المرأة التمتع بالحق الوطنى الكامل .

« ومن النسيان ما يُبكى حقًّا ، فعلى مقربة من مدينة اليونسكو – حيث أحرقوا البخور فى تمجيد لبنـان وحضارته البعيدة – قامت بناية السجون ، حيث تربط الطبقات المنحطة من مجرمين ولصوص ونشالين . إن كل هذه الطبقات، ومن يماثلها من الذين يعيشون مؤقتاً خارج السجون ، تملك الحق الوطنى ، حق إدارة البيت اللبنانى ، وتقرير مصير اللبنانى . أما الطبيبات والمحاميات ، اما اللواتى صرفن الأعمار فى تهيئة هذه الجماهير المثقفة من فتيان وفتيات ، أما الراهبات الناذرات نفوسهن للخير ، والسيدات الحاملات عن أكتاف الخزينة اللبنانية كل مشاكل الإسعاف العام ، أما كل هذه المواكب من النساء النقيّات التقيّات فمحرومات من الحق الوطنى بفعل النسيان الأثيم ! . . . »

وهذا أيضاً نموذج من أدب السيدة مريانا دعبول فاخورى ، صاحبة مجلة « المراحل » ، من كلمة قالتها فى رثاء الشاعر حسنى غراب ، ونُشِرت فى مجلة « العصبة » أيضاً عام ١٩٥١ ، بعنوان « قبلة ودمعة » :

« قبلة ودمعة أيها الشاعر

قبلة من الأرض التى احببتها ، وتغنيت بجمالها ، ونعمت بخيراتها طيلة خمسة عقود

ودمعة

دمعة يا حسنى

وأية هدية أثمن من دمعة فى كمّ زنبقة فى حقل ، وزهرة فى حديقة !

واية أنشودة هى الدمعة فى مقلة فتاة تذرفها على قبر أبيها !

وأية لؤلؤة هى الدمعة تجود بها عين فجعها الدهر برفيقها !

وأية جمرة هى الدمعة تحترق بها مقلة الشقيق !

وأية باقة من الزهر هى الدمعة يقدمها لك موكب الحياة ، ويزين بها قبرك أيها الصديق !

قد تذبل الزهور وتيبس الزنابق

أما شعرك فسيظل رطباً على زنود العذارى

قد تجف مياه العاصى وتقفر مروج الفيحاء

أما ربات السحر وإلهات الجمال فستقف حياتها تردد شعرك وتتغنى بجمال روحك ! »

* * *

وفيما يلى نموذج من أدب السيدة مارى ينى عطا الله ، من مقال لها فى مجلة « العصبة » عام ١٩٤٩ بعنوان : « أين هو القائد الإنسانى » .

« تصاب البلاد بوافدة من الأمراض السريعة الانتشار ، فنجابهها حالا بالتلقيح الإجبارى ضنًّا بأرواح العباد أن تضحى .

« ثم تمنى البلاد بوافدة من الطاعون الإنسانى ، كالسلب والنهب والتعدى والقتل ، فنرى تلك الأرواح التى حافظنا على كيانها أولا متروكة لأبدى القدر

تتنازعها كما تشاء ، كأن لا مصل يشفى ولا يد طبيب تداوى .

« وتنتشر على العالم قاطبة وافدة اجتماعية تحصد الأخضر واليابس ، وتدكّ معالم العمران ، وتنهار معها صروح المدنية ، فلا تتحرك يد طبيب اجتماعى واحد للقضاء على القوة المسببة ، وإراحة الإنسانية من شرورها .

« فهذه الأمراض وتلك ليست سوى نتيجة سوء التربية وفساد الأخلاق وتشويه برامج التعليم ، لأننا فى كل أعمالنا إنما نضع المراهم على الجراح ، ونخفف وطأة الأوجاع بالمخدرات دون أن نسعى إلى تجنب أسباب العلل ، واستئصال جراثيم الأمراض من أسسها ، بعد أن أصبحنا نحشو الأدمغة بالعلوم ، ونغض النظر عن الأخلاق التى فسدت وانحطت ، وأصبحت وحدها السبب الاهم فى هذه الكارثة الكبرى التى يواجهها العالم . . .

« لهذا أريد أن أنادى الأمهات – أمهات العالم بأسره ، كى يسعين فى مؤتمراتهن إلى إبادة كل برامج التربية والتعليم الحاضرة ، ويعمدن إلى سن برامج جديدة وقوانين نزيهة وشرائع قويمة ، تعلم أبناء الجيل الجديد كيف يتمردون على القوى الغاشمة ، وتولد فى نفوسهم كرهاً للحروب ومسبيبها ، وتفهمهم قيمة وجودهم فى الحياة ، وانهم خلقوا لمكافحة الفناء قبل أوانه ، لا ليكونوا عرضة لرغائب قادة خلت نفوسهم من الشعور الإنسانى ، كهؤلاء الذين يحملون مقدرات العالم فى هذا الجيل الملىء بالشر والويلات .

« لقد ضجت الإنسانية من فظائع هؤلاء القادة الميكانيكيين الذين لا قلب لهم ولا ضمير ولا رادع . فأين نجد الرجل الإنسانى العالمى الذى يتولى قيادة العالم الجموح ، ويقف به عند محطة السلام ؛ فلا يقود الشبيبة الزاهرة النشيطة إلى الفناء بحركة من شفتيه الناريتين ، ويقضى على معالم العمران بذرّة من مخترعاته الجهنمية . . . »

* * *

واما الأديبة السيدة انجال عون شليطا فهذه قطعة من ادبها بعنوان « الانتحار بين الجنسين » نشرت فى مجلة « العصبة » عام ١٩٥٣ :

« إذا كان فى اعتداء الإنسان على أخيه الإنسان شىء من الجرأة والشجاعة

فى اعتدائه على نفسه كل الجبانة والضعف .

« وإذا حاولنا أن نجرى إحصاء بين مرتكبي هذين النوعين من الجريمة نرى عدد الرجال يزيد على عدد النساء . . .

« المرأة تفشل كالرجل فى مساعيها ، ولكن أنانيتها تحملها على أن تتخذ إلى أهدافها طرقاً أخرى .

« والمرأة يتحطم ساعدها فى مضمار الجهاد ، ولكن عنفوانها يحول دون أن تسقط منتحرة بيدها . . .

« يقولون : إن الانتحار مظهر من مظاهر الشجاعة ، والشجاعة فى الرجل أوفر منها فى المرأة .

« وإن الانتحار هو من صفات الرجال العظام ، كالقواد الذين يخفقون فى المعارك ، والساسة والحكام الذين تخونهم أحزابهم ، والأغنياء الذين تذهب الأقدار بجاههم وثرائهم .

« ولكننا لو استنرنا بمصباح الحكمة ، ومشينا على هدى المنطق ، لما وجدنا الانتحار إلا مظهراً من مظاهر الضعف والجبانة ، لأن من ينتحر يقصد الهرب من حمل التبعات الخطيرة والمسئوليات الكبرى . . . »

* * *

وعلى ذكر السيدة أنجال عون شليطا أذكر أن الشاعر القروى رشيد سليم الخورى قد دعاها مرة إلى اجتماع فى منزله ، فعزفت على العود عزفاً ملأ القروى إعجاباً ببراعتها ، فقال فيها :

قُولى لنا يا ابنةَ الدَّامُور صادقـــةً   من أىّ جوهــر فنٍّ صاغَكِ اللهُ
سبحانَ من نظَمَ الدُّنيـــا ولحَّنَهـــا   بيتًا من الشعر فى عينيك معنـــاهُ
بالرِّيشَتَين حويت السِّحْر أجمعَـــهُ   سحر البيـــان وسحر العزف زَكَّاهُ
لم يفتح العـــودُ فاهُ حين أنْشَدَنَـــا   والكلُّ مُصْغٍ إليـــه فاتِحٌ فاهُ
وكل قلبٍ تمنَّى من صـــــبابتـــه   إليك لو كانَ صـــدر العــود مأواهُ

٦ – أبناء المهجريين واللغات الأجنبية

الأدب المهجرى الذى نكتب فيه هذه الفصول كلها هو أدب الرعيل الأول من بناة الأدب العربى على ضفاف الميسيسبى والأمازون ، أولئك الأبطال الذين شادوا للأدب العربى فى ديار الغربة ، وبين ضجيج الآلات وصخب المصانع وقرقعة الدواليب ، وبين العرق والدموع ، مملكة زاهية زاهرة ، قادت أدب الضاد فى سبل جديدة ، ونفخت فيه روح الحرية والجرأة والتجديد .

غير أن هذه الفئة العظيمة المجاهدة لن تستطيع أن تصمد للأيام أطول مما صمدت ؛ فالذين مضوا منها إلى العالم الآخر ، لم يحلّ محلّهم من يستطيعون أن يحتفظوا للأدب العربى فى ديار الغربة بزهوته ونضرته وقوته .

لقد انفرطت الرابطة القلمية فى أمريكا الشمالية بوفاة جبران ، ونسيب عريضة ، وإيليا أبى ماضى ، ورشيد أيوب ، وندرة حداد ، ووليم كاتسفليس ، ووديع باحوط ، وإلياس عطا الله ، وعبد المسيح حداد ؛ وضعف أدب المهجر الشمالى ، بل مات بوفاة أمين الريحانى ، وأمين مشرق ، وحبيب كاتبه ، ومسعود سماحة . وفى المهجر الجنوبى لم يقم من يملأ مكان فوزى المعلوف ، وحسنى غراب ، وميشال المعلوف ، وأبى الفضل الوليد ، ويوسف البعينى ، وعقل الجرّ ، وسلمى صائغ ، ورشيد عطية ، وإسكندر كرباج .

والذين عادوا إلى الوطن بعد أن ذاقوا مرارة الاغتراب طويلا ، من أمثال ميخائيل نعيمه ، ورياض معلوف ، ونظير زيتون ، والشاعر القروى ، وشكر الله الجرّ مد الله فى حياة الأحياء منهم ورحم الموتى – ظلت أماكنهم فى نيويورك ، وريودى جانيرو ، وسان باولو خالية ممن يستطيعون أن يجيئوا بمثل أدبهم الجميل .

ومعنى هذا أن الأدب المهجرى كان أدب فترة قصيرة فحسب من عمر تاريخ الأدب العربى ؛ ولكنها فترة من أغنى أدواره ، وأطيبها ثماراً وأرقاها فكراً ، وأنصعها أدباً .

أما أبناء المهجريين ممن ولدوا فى ديار الغربة ، فقد نشأ بينهم كثيرون من

حملة الأقلام ، ولكنّ بُعدهم عن الوطن العربى ، ووجودهم فى بيئات غريبة وبين أقوام غير عربية ، وعدم وجود معاهد عربية تلقنهم لغة الآباء والأجداد ، جعلتهم ينصرفون إلى الإنتاج الأدبى بلغات المواطن الغربية التى يعيشون فيها . ومن هؤلاء ظهرت طائفة من الأدباء نالت شهرة واسعة فى حقول الآداب الأجنبية ؛ فالذين نشأوا فى الولايات المتحدة يكتبون بالإنكليزية ، ويساهمون فى آدابها الجديدة ، والذين نشأوا فى دول أميركا اللاتينية يكتبون بالإسبانية والبورتغالية .

صحيح أن عدداً من كبار أدباء الرعيل الأول وضعوا الكثير من المؤلفات النفسية فى اللغات الأجنبية ، وعلى رأس هؤلاء — فى الشمال — جبران خليل جبران ، وأمين الريحانى ، وميخائيل نعيمه ، ووليم كاتسفليس ، وفيليب حتى ؛ ومن أدباء الجنوب ، جورج قدّوم ، ورياض معلوف ، وموسى كريّم ، وعدد آخر غيرهم ؛ غير أن هؤلاء جميعاً كانوا ممن يجيدون العربية ويكتبون بها أروع إنتاج أدبى ، إلى جانب إجادتهم للغات الأجنبية التى يشاركون فى آداب أهلها ؛ ولذلك أغنوا لغتهم بما كتبوه بها ، وما أضافوه إلى آدابها من الإنتاج الثمين .

أما أبناء المهاجرين اليوم فقد انغمسوا فى البيئات الأجنبية ولغاتها انغماساً تاماً ، ولم يعد لديهم ما يربطهم باللغة العربية ؛ فاقتصر أدبهم على ما ينشئونه باللغات الأجنبية . وهم لذلك جديرون بأن نشير إلى أدبهم ، ولو إشارة قصيرة ، فى هذا الكتاب :

وإنه لمن المؤسف أن تكون لدينا مراجع كافية عن هذه الفئة الناهضة من أبناء المهجريين ، فلسنا نعرف أحداً منهم فى المهجر الشمالى . وأما المهجر الجنوبى فالمرجع الوحيد لدينا عنهم مقال للأديب يوسف البعينى نشره فى مجلة « العصبة » عام ١٩٤٩ بعنوان « مواليد اللبنانيين فى الأدب البرازيلى »[١] ، وقد وعد يوسف فى ذلك المقال بأن يعود إلى تكملة الموضوع فى أعداد لاحقة من العصبة ، ثم صدر منها عددان لم يكتب فيهما يوسف شيئاً فى ذلك الموضوع ، وأما العدد الثالث فقد حمل إلينا نعيه ، وبقى الموضوع يحتاج إلى من يوفيه حقه من الدرس ممن لهم اطلاع كاف عليه .

---

(١) مجلة العصبة ع ٧ السنة ٩ — كانون الثانى (يناير) سنة ١٩٤٩ .

ونحن لذلك مضطرون إلى أن نقتطف ههنا بعض ما جاء فى ذلك المقال الوحيد من تعريف بأدب تلك الفئة الناهضة من أبناء المهجريين .

يقول يوسف بعد أن يعرّف بما للأدب البرازيلى من شأن بين الآداب العالمية :

« أعود الآن إلى مواليد اللبنانيين ، متحدثاً عن المنزلة السامية التى يشغلونها اليوم فى الأدب البرازيلى ، على ما له من المقام الرفيع فى الآداب العالمية ، كما أظهرت فى مستهل هذه العجالة ، فأشير فى أول الأمر إلى الشاعر جميل المنصور حداد ، صاحب المؤلفات النفيسة فى دولة البيان ، وأحد أمراء الشعر فى أمريكا اللاتينية .

« ومن مؤلفاته « صلوات سوداء » ؛ وهو ديوان شعرى منحه المجمع العلمى البرازيلى جائزة الشعر ، لما يتموج فى صفحاته من بيان متين الدعائم ، وقوة غريبة على قرض الشعر . ومن إبداعه فى هذا الديوان الشعرى الرائع تصويره للروح البشرية فى حالات بؤسها وشقائها . ولذلك دعاه « صلوات سوداء » ، لما يبطنه من وحشة وكآبة وخيبة لعلّه ورثها عن أجداده اللبنانيين ، الذين قال الفيلسوف رينان إنهم احتكروا العاطفة دون باقى الشعوب ، فهى تفرح مع أزهار الربيع ، وتنتحب مع الجداول فى فصل الخريف الحزين . وهذا مثال من شعره :

« أقبلى ، أقبلى ، يعشوك الغرام ، فها قد دنا وقت القطاف ، وحان لشفتى أن تستشعرا طعم السعادة . إن الحب لسانحة ، وسانحة قصيرة جدًّا ، فهلمى نغيِّب فى كؤوسه أتراحنا ، وننس على فراشه الوثير الألم ، والعذاب ، والموت ! ! »

« ويشغل ذات المكانة التى شغلها جميل المنصور حداد شاعر وكاتب آخر يدعى سلمون جورج ، وهو عميد كتلة الأكثرية فى مجلس نواب سان باولو ، وصاحب عدة مؤلفات حازت رضى كبار النقاد وإعجابهم . ومن مؤلفاته الشعرية ديوان « عربيات » نحا فيه منحى كبار الشعراء المعاصرين ، ومما يمتاز به هذا الشاعر كونه خطيباً فصيح اللسان ، وناثراً بليغاً يحملك نثره المشرب بالعاطفة ، والمحلى بالشعور والإحساس ، على حب الحياة بما فيها من أشواك دامية . . . فأنت تحبه ناقماً ساخطاً ، وتحبه مداعباً مغازلا . وقد أصدر أخيراً كتاباً نثريًّا بعنوان « جمال الموت » ، فجاء رافلا فى غلائل بيانية كبيان فليكس فارس ، صاحب تلك الديباجة الساحرة التى لا يجهلها أحد من قراء الأدب العربى الحديث .

« وهناك الكاتب الروائى والنقاد الراسخ القدم فى دولة الأدب ، ماريو نعمة ، الذى تشوقك منه عاطفته المضطرمة ، المتخبطة فى ديجور موحش كئيب . ولكم قرأت لهذا الأديب العبقرى من فصول أدبية منداة بقطرات قلب الفنان المفتون بالجمال ، فكان يغشانى لدى قراءتها ما يشبه الضباب العابق بالعطور ، مطلاً منها على آفاق متموجة بألوان الفجر والمغيب . وعلى الرغم من أنه لم يمسح عن وجهه وجبينه أحلام الشباب ، فقد زف إلى المجتمع البرازيلى عدداً من المؤلفات ، أحلّها أعلام الأدب أجمل منزلة من التقدير ، لما يطفو عليها من أمواج عاطفية تشع بالإحساس والتصور والإلهام .

« وهناك كتّاب وشعراء أخص منهم بالذكر (إميل فرحات ، وداود نصر ، وإميل كارلوس ، وساسيل غنام ، وديفا جبور ، ومينرفا سعادة ، والشدياق) فهم أصحاب مؤلفات هامة ترجم بعضها إلى الفرنسية والإنكليزية والإسبانية ، إذ صوروا فيها حياة العمال وما يعانونه من شظف وتضور . ولعل أبعدهم مدًى وأرسخهم قدماً الروائى والنقاد المشهور نعيم أبو سمرة .

« عرفت هذا الأديب من أعوام ، فعرفت فيه كاتباً خصباً فياضاً تنساق له الصور والمعانى انسياق المياه فى منحدر الوادى . . . وقد طبعه الشرق ، عن طريق الوراثة ، بطابع يعرف به وحده اليوم .

« ويمثل فى رواياته وقصصه مذهب الاحتفاظ بالشباب الأزلى ، والتمتع بالحياة فى شتى ألوانها ومظاهرها . فهو من هذه الناحية يماثل عمر الخيام ، الشاعر الفارسى الذى دعا إلى تقديس الحياة والتقلب فى أحضانها .

« ومن مؤلفاته كتاب فى النقد تناول فيه أعلام الفكر الإنسانى ، مترسِّماً مذاهبهم وطرق تفكيرهم . وقد لقى هـذا الكتاب استحساناً شاملا من الأندية الفنية فى البلاد .

« وأخرجت له المطابع أخيراً رواية دلت على اقتداره فى العالم الروائى ، وسماها « رواية فى إستانبول » ، وهى من ابتكاره ، معتمداً بوضعها على خياله فحسب . .

« ويدهشك من هذا الروائى المطبوع ، عدا أسلوبه المعطر ولغته الشائقة ، مقدرته العجيبة على ابتكار قصصه ورواياته ؛ فإن أشخاصه لا تمت بصلة إلى

المحيط الذى يعيش فيه ، كما يفعل أعلام الرواية المعاصرون ، إذ يبنون الموضوع متأثرين بالبيئة والجو ، على ما يحوطهما من حوادث وعِبَر : ويشملهما من ظلمات وأشعة ، بل يخرج أشخاصه من صميم نفسه الغنية بالصور والألوان ، خالعاً عليها من ظلال الحياة وأنوارها غلائل شفافة . وهذه القدرة على خلق أشخاص تتذوق فى كل جارحة من جوارحها وفى كل حاسة من حواسها حلاوة الأمل ومرارة الألم ، لم تتفق إلا للقليلين من جبابرة الفن الروائى – ناهيك بخيال وثاب يحمل تحت أجنحته الذهبية إحساس الشاعر وعبقرية الحفار ، الذى يجبل من تذكاراته وأحلامه تماثيل للحياة .

« ولا أنسى فى هذا المجال أن أشير إلى زميلى فى العصبة الأندلسية الأديب اللغوى المدقق ، الـذى يجيد العربية ككبار أعلامها ، الأستاذ فؤاد نمر (ميكال نمر) واضع أوسع كتاب فى شوارد اللغة البرتغالية وصلتها باللغات الشرقية ، وعلى الأخص بالعربية . وقد وصف كبار اللغويين فى البلاد كتاب الأستاذ فؤاد نمر بأنه فتح مبين فى هذه الأبحاث المستعصية ، التى لا يستوعبها إلا أصحاب المواهب النيرة . ومما يمتاز به هذا العالم الخبير بأصول اللغات حبه للشرق ومعرفته لتاريخه وآدابه . وكتابه هذا حفز وزارة التعليم إلى إنشاء كرسى للعربية فى أهم جامعة فى البلاد .

« ويُعنى الأستاذ فؤاد نمر بوضع قاموس عربى جامع للأوضاع الحديثة . وعندى أن هذا العالم البصير سيوفق إلى خدمة اللغة وتسهيل صعوبات الأوضاع ، نظراً لتضلعه من عدة لغات تضلعاً وثيقاً ؛ فقد درس هذه اللغات درساً علميًّا صحيحاً على أكبر العلماء فى جامعة باريس ، وعلى مشاهير المستشرقين . إن جل الذين اشتغلوا بوضـع القواميس العربية لم يأتونا إلا بما نحن فى غنى عنه . وعندى أن هذا النقص فى تأليف الموسوعات اللغوية عائد إلى عجز المؤلفين ، وقصر باعهم فى معرفة أصول اللغات واشتقاقاتها .

« وبعد – فهذه لمحة موجزة من بعض مواليد اللبنانيين فى البرازيل ممن اعتنقوا مذهب الأدب ، محلقين مع نسور الإلهام فى سمائه .

« وفى اعتقادى أنه لن يطول الزمن حتى تتفتق عبقريات هؤلاء الأدباء عن

بيان عالمى النزعة ، فيتحفوا الإنسانية بأدب جديد كانت شواطئ البحر المتوسط مهداً له فى الماضى البعيد . وإذا فات تلك الجماعات المتسكعة الغارقة فى رقادها الأبدى ، أن تنشد بعد الأجيال المتعاقبة أغانى الخلود ، فلن يفوت أبناءها ، وإن ارتدوا غير ثيابها ، أن ينشروا على الدنيا إنجيل الحق ، والأمل ، والمحبة » .

* * *

وبعد فليس لى فى هذا الفصل من فضل ، وإنما الفضل كله للأديب المهجرى النابغة يوسف البعينى ، الذى فقدته العصبة الأندلسية ، وفقده الأدب العربى وهو أغنى ما يكون بالعناقيد النواضج ، وأسخى ما يكون بالفكر النيّر والأدب الجميل ، رحمة الله عليه .

٧ – « جامعة القلم » فى البرازيل ، وغيرها

بعد أن توقفت « العصبة الأندلسية » ، وتفرّق شمل أدباء المهجر البرازيلى ، فعاد منهم القروى ، ونظير زيتون ، وشكر الله الجرّ ، إلى لبنان وسوريا عوداً نهائيـاً ، وانقطعت مجلة « العصبة » نهائيًّا عن الصدور ، بقيت مجلة « المراحل » التى تصدرها السيّدة مريانا دعبول فاخورى منبراً حيًّا لأقلام بقيّة أدباء المهجر ؛ فراحت تجمع شمل أقلامهم وتصل بينهم وبين المشرق العربى بما تنقله من مقالات وقصائد عن صحف المشرق ؛ فكانت « المراحل » عوضاً مرموقاً عن « العصبة » منذ عام ١٩٥٤ إلى اليوم .

ولقد احسّ من بقى من أدباء المهجر البرازيلى بحاجتهم الماسّة إلى الالتئام فى عصبة جديدة ؛ فنهضت السيدة مريانا دعبول تحقّق لهم هذه الرغبـة ، وجعلت من دارها ندوة لهم يجتمعون فيها ويتدارسون شئون العصبة الجديدة ، وجعلت من صفحات « المراحل » حقلا تجول فيه أقلامهم ما طاب لها التجوال الحرّ .

وفى عدد آذار ونيسان ١٩٦٥ وهو عدد مزدوج يحمل الرقمين ١٠٨

و ١٠٩ من السنة العاشرة من عمر المجلة – حملت الصفحات ١٤ – ١٦ من « المراحل » نبأ إنشاء الرابطة الجديدة باسم « جامعة القلم » . وفيما يلى ما نشرته المجلّة فى هذا الصدد بتوقيعى الأديبين يوسف الفاخورى ، وشاكر الدبس .

« فى اليوم الثانى من شهر تموز ١٩٦٤ اجتمعت شلّة من أدباء العربيّة فى حاضرة سان باولو . فى منزل صاحبة المراحل الأديبة السيدة مريانا فاخورى ، وأبدت تخوّفها على مصير اللغة العربية فى المهاجر ، فقررت الدفاع بكل ما لديها من الوسائل عن تراثنا الأدبى ، وذلك بتأليف مؤسسة أدبية باسم « جامعة القلم » من شأنها تعزيز الأدب العربى شعراً ونثراً ، ونشر اللغة العربية فى المهاجر ، والحفاظ على تراثهما ورفع مستواهما .

« وقد عهد الحاضرون إلينا نحن الموقعين اسمينا أدناه بوضع قانون يصحّ ان يكون دستوراً للجامعة .

« وبعد اجتماعات متعدّدة توصلنا إلى إعداد القانون الذى ننشره اليوم ليطلع عليه كل أديب وشاعر فى الوطن والمهاجر ، ويبدى آراءه وملحوظاته كى يصبح هذا القانون وافياً بالغرض . لذا نرجو من إخواننا الأدباء المناصرة والتوجيه المخلص ، وإرسال ملحوظاتهم على عنوان إدارة المراحل ؛ فما رسالتنا إلا رسالتهم ورسالة الأجيال الطالعة فى هذا المنقلب البعيد من الأرض » .

وصاحبا التوقيعين هما من أسرة مجلة المراحل ؛ وفى هذا دلالة على أن للمراحل وصاحبتها الفضل الكبير فى محاولة إعادة بناء الأدب العربى فى المهجر بعد أن كادت تتقوّض أركانه ودعائمه ، ويسير نحو نهايته المحتومة .

أمّا أهداف جامعة القلم كما وردت فى دستورها المنشور فى المجلة فهى :

١ – تعزيز الادب العربى ونشر اللغة العربية فى المهاجر .

٢ – توثيق روابط الأدب العربى بين المغتربين والمقيمين .

٣ – نشر الأدب العربى فى بلدان الاغتراب .

٤ – إنشاء ناد أدبى يطلق عليه اسم « نادى الأدباء » ينضوى تحت لوائه عشّاق الأدب من المغتربين ومتحدّريهم .

٥ – إنشاء مكتبة تجمع أكبر عدد ممكن من الكتب العربية والأجنبية التى

تعنى بشئون الأدب العربى والأدب العالمى .

٦ – إنشاء مجلة أدبية ينشر فيها أعضاء « جامعة القلم » إنتاجهم الأدبى ، فتكون لسان حالهم .

٧ – إقامة حفلات أدبية وترجمة كتبٍ قيّمة .

ويشترط فى عضو جامعة القلم – مقيماً كان أم مراسلاً – أن يكون متمتعاً بحقوقه المدنية ، وأديباً منتجاً يعتبر إنتاجه ذا قيمة فى عالم الأدب . ولا يتم قبوله إلا بموافقة أكثرية الإدارة .

* * *

هذه هى الرابطة الجديدة التى أقامها أدباء المهجر الجنوبى فى البرازيل عام ١٩٦٤ والتى حملت « المراحل » لواء الدعوة إليها وإنشائها لكى تجعل للأدب المهجرى كياناً بارز الأثر ، بعد أن رأت دبيب الفناء يتسلل فى شرايينه .

وقد تكون هذه الجرعة الجديدة وسيلة أمينة لإعادة الحياة إلى « الجسم » الذى تسرّب إليه البلى ، ولكنها أيضاً قد لا تكون أكثر من حقنة آنيّة لإطالة الاحتضار قليلا . على أننا – برغم كل شىء – نرجو أن تساعد هذه المؤسسة الأدبية الجديدة على إنعاش الأدب المهجرى وإعادة شىء من شبابه إليه فلا تكون انتفاضة الموت ، أو ما يسميه العامة (حلاوة الروح) .

والذى يجعلنا نرجو أن ينتعش الأدب المهجرى بهذه المؤسسة الجديدة هو أنه لا يزال فى المهجر الجنوبى عدد من كبار الأدباء والشعراء الذين تحدّثنا عنهم فى هذا الكتاب ، من أمثال إلياس فرجات ، وشفيق معلوف ، ونعمه قازان ، وفارس الدبغى ، وقيصر سليم خورى ، وميشال المغربى ، وحبيب مسعود ، وزكى قنصل ، وإلياس قنصل ، وغيرهم ، كما أن هناك عدداً آخر كبيراً ممن لم نتحدث عنهم فى كتابنا هذا لقلّة ما توصلنا إليه من معلومات عنهم ؛ ووسيلتنا الوحيدة إلى معرفة أسمائهم وشىء من إنتاجهم هو مجلة « المراحل » . وجدير بنا أن نذكر ههنا بعض الأسماء البارزة التى نعتقد أن « جامعة القلم » قد تألفت من أصحابها . من هؤلاء نشير أولاً إلى السيدين يوسف الفاخورى وشاكر الدبس ، الموقعين على البيان ، كما نذكر فيليب لطف الله صاحب

ديوان « نسمات الجبل » وتوفيق بربر ، وجواد نادر ، وسليم نادر ، ومريانا فاخورى دعبول ، ونقولا المعلوف ، وداود جرجس الخورى ، وأسد موسى ، وجورج قيصر المعلوف ، وفارس بطرس وموسى الحداد ، وأمين الغريب ، وجوزيف الخورى ، ويوسف الشرتونى ، وباسل فرحات ، وسليمان نعيم الشرتونى ، وعبد اللطيف اليونس ، وأنجيل عون شليطا ، ونصرى حديقة ، وغيرهم .

إن البيان الآنف الذكر لم يورد أسماء أعضاء « جامعة القلم » ، ولا وجدنا لهم سجلا فى أعداد المراحل ، إلا أن عدد المراحل المزدوج رقم ١١٦ و ١١٧ من سنتها الحادية عشرة ، الصادر عن شهرى تشرين الثانى وكانون الأول ١٩٦٥ ، قد حمل إلينا أثراً طيّباً من آثار هذه الجامعة يدلّ على الحيوية والنشاط ، وعلى الرغبة الصادقة فى الإبقاء على الأدب العربى فى المهجر حيًّا نامياً . وهذا الأثر هو حفلة تأبينيّة كبرى أقامتها « جامعة القلم » فى سان باولو فى ٢ أيلول ١٩٦٥ لذكرى الأديب المهجرى الراحل جورج حسّون معلوف ؛ ويكاد العدد كله يكون عدداً خاصًّا بالحفلة ، فقد امتلأت صفحاته بكلمات الخطباء وقصائدهم وهم : « يوسف فاخورى ، شفيق المعلوف ، حبيب مسعود ، مريانا فاخورى ، توفيق بربر ، فيليب لطف الله ، شاكر الدبس ، شكيب تقى الدين ، سليمان نعيم الشرتونى ، داود جرجس الخورى ، إلياس فرحات ، نصر سمعان ، السيدة سلوى خورى محفوظ ، بالإضافة إلى الشاعر المهجرى الشمالى الدكتور سليمان داود ، والأديب السورى عبد اللطيف اليونس . وهذا فأل حسن يبشّر بالخير ، ويجعلنا نؤمّل أن تعيد جامعة القلم مجد « العصبة الأندلسيّة » إذا قدّر لها من يموّلها ويخلص لها فى العمل والقيادة .

وعند ما أوردت المجلة قصيدة الدكتور سليمان داود ذكرت إلى جانب اسمه أنه « عميد جامعة الأدب العربى فى أمريكا الشمالية » مما يدلّنا على أن البقية الباقية من أدباء المهجر الشمالى قد ألّفوا هم أيضاً رابطة لهم تدعى « جامعة الأدب العربى » . وقد عرفنا الآن « عميدها » ولكننا ما نزال نجهل بقية أعضائها ، وإن كان من المؤكد أن الشاعر المعروف نعمة الحاج واحد منهم . على أن هذه الرابطة الشمالية التى نجهل أسماء أعضائها وعددهم ، ونجهل كذلك تاريخ تأسيسها ونشاطاتها ،

الفكريّة ، لم يستطع صوتها أن يصل إلى الشرق العربى كما كان يصل صوت « الرابطة القلمية » من قبل . ولسنا ندرى إن كان لهذه « الجامعة » جريدة أو مجلة معينة تحمل إنتاج أعضائها .

فى عام ١٩٦٧ أوردت مجلة (المراحل) فى عددها المزدوج ١٣٥/١٣٦ الصادر فى آب / أيلول ١٩٦٧ ، نبأ عن اجتماع لجامعة القلم تخلى فيها رئيسها الأول داود جرجس الخورى عن الرئاسة ، وجرت انتخابات جديدة للهيئة الإدارية ، ففاز السادة :

فيليب لطف الله -- رئيساً

داود جرجس الخورى ، وفؤاد نمر – لنيابة الرئيس

نبيه سلامه ، ووفاء نصر – لأمانة السر

فيليب عطا الله ، وشكيب تقى الدين – لأمانة الصندوق

نصرى حديقه – للخطابة

مريانا دعبول ، ونقولا معلوف ، وسليمان الشرتونى – للشؤون الاجتماعية .

ومنذ ذلك الحين لم نعد نعرف شيئاً عن جامعة القلم ونشاطاتها الفكرية : ولا ندرى هل ما تزال حيـة أم جرى عليها ما جرى على غيرها من عوامل الانحلال ، ولا سيما بعد أن أصبح الأدب المهجرى تاريخاً أكثر منه حقيقة فاعلة منتجة .

* * *

ومن مقال للأديب السورى عبد اللطيف اليونس ، نزيـل البرازيـل ، منشور فى عدد كانون الثانى وشباط ١٩٦٥ من مجلة المراحل بعنوان « تحية الأدباء العرب فى الأرجنتين » ، نعرف أن فى الأرجنتين كذلك رابطة للأدباء العرب تدعى « ندوة الأدب العربى » . ولعل هذه « الندوة » قد خلفت « الرابطة الأدبية » التى كان قد أنشأها جورج صيدح فى الأرجنتين ، وكانت تضم فى عضويتها زكى قنصل ، وإلياس قنصل ، وعبد اللطيف الخشن ، ويوسف صارمى ، والمطران نيفين سابا ، وغيرهم . ولكننا لم نعد نعرف شيئاً عن هذه الرابطة الأرجنتينية .

إن هذه الجمعيّات الأدبيّة ، فى الشمال والجنوب من المهاجر الأمريكية ، لدليل على بقيّة من تمسّك الأدباء وحملة الأقلام هناك باللغة العربية ، وحرصهم

على أن تظل مملكة الأدب العربى حية فى المهجر بعد أن كثر نعاتها والمترحّمون عليها : بل بعد أن نعت هى نفسها بضعفها وانحلالها .

ونحن نأمل أن ينجح هؤلاء الأدباء فيما يرمون إليه ، وأن يتمكنوا من إعادة الحياة إلى أدب المهجر ولو إلى حين . هذا مع علمنا اليقين أنه ليس ثمة من أمل فى أن يعود إلى الأدب المهجرى بعد اليوم عصره الذهبى أيام الرابطة القلميّة ، ثم أيام العصبة الأندلسية ؛ وذلك لاختلاف الظروف ، أولا ، ولتطوّر الزمن ثانياً ؛ فحين ظهرت الرابطة القلمية كان الأدب العربى فى الشرق يعانى من التقليد والجمود وبطء التطوّر ما يجعله فى حاجة إلى اندفاعة قوية تأتيه من الخارج ، فتقذف به إلى الأمام بسرعة وجرأة وقوّة . وقد جاءت هذه الاندفاعة على يد جبران والريحانى ونعيمه وأبى ماضى فى الشمال . وكذلك على يد فوزى المعلوف ، وأبى الفضل الوليد ، والقروى ، وفرحات ، فى الجنوب .

أما اليوم فقد اختلف الزمن كثيرًا ، واختلفت الظروف كل الاختلاف ؛ وليس فى الإمكان أكثر من المحافظة على استمرار الكلمة العربية حية فى المهجر بشكل ما ، أما التجديد والإبداع ففى الشرق العربى اليوم منهما وثبات قوية فى كل يوم ، وانطلاقات إلى مسايرة ركب الآداب العالمية فى كل باب من أبوابها . لقد انتهى عهد التقليد والجمود فى المشرق العربى ، ولم يعد ثمة ما يشدّ الاديب فيه إلى الخلف ، بل لم يعد الأديب الشرقى اليوم يرضى بأن يشدّه شىء إلى الوراء ، أو يعوقه عن الانطلاق الجرىء . وفى هذا المجال أصبحت إمكانات الحاضر ميسورة ومتوافرة فى الشرق أكثر منها فى المهاجر الأمريكية ، حيث اندمج أبناء المهاجرين فى البيئات التى هم فيها ، وأصبحت مصلحتهم وظروفهم كلها تقضى بمزيد من الاندماج فيها فى كل شأن من شئون الحياة . وتفوّق أبناء المهجريين اليوم فى آداب البلاد التى يقيمون فيها أصبح أكثر احتمالاً منه فى الادب العربى الحديث .

وبرغم هذا اليقين فإننا نبارك بكل قلوبنا كلّ حركة يقوم بها المهجريون للحفاظ على اللغة العربية والروح العربية فى ديار الهجرة برغم كل المصاعب ، وبرغم كل المغريات التى تصرفهم عن ذلك . ومن واجبنا أن نقدّم لهم كل عون

ممكن ، لكى يظل الحرف العربى مقروءاً هناك ، والكلمة العربية ملفوظة ومسموعة ؛ ففى هذا مجد للعرب والعربية ليس باليسير .

ونشير هنا إلى كلمة نشرها الأديب المهجرى إلياس قنصل فى مجلة (الضاد) الحلبية[1] بعنوان « الأدب العربى المغترب فى حالة احتضار » ، وقال فيها :

« لم نعد ننتظر من الأدب العربى فى الأرجنتين أن يتدفق بروائع تضاف إلى دفتر المجد الفكرى الذى كتب سطوره الأولى منذ ستين سنة تقريباً ، بل أمسى قصارى أملنا أن تنبثق من نفسه قوة تمد فى البقية الباقية من حياته التى تهوى يوماً فيوماً .

« وهذا الذى نقوله عن أدب الضاد فى هذا المغترب نعمّمه على سائر المهاجر الأمريكية ؛ بل نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنشير إلى أن الأدب العربى فى هذه الجمهورية سيكون آخر علم ينطوى من أعلام هذه الدولة الفكرية الشامخة التى بناها حملة الأقلام الذين ركبوا البحر إلى العالم الجديد .

« وليس فى مكنتنا أن نحدّد اتجاهات الأدب الحالى ، أو أن نعيّن معالمه ، أو أن نثمّن قيمته ، شأنه شأن الثمالة فى كأس من شراب متعدد الأصناف ، متباين الألوان ؛ ليس فيه طعم مبين من نوع ، وإن كانت فيه أجزاء راسبة من كل نوع » .

ثم يهيب الكاتب بالحكومات العربية أن تفعل شيئاً لإنقاذ الحركة الأدبية فى المهاجر الأمريكية من الموت ، ولا سيما بنشر إنتاج الأدباء المهجريين الفكرى ، ودعوتهم إلى زيارة الوطن لتجديد نشاطهم الفكرى وعاطفتهم .

وقد غاب عن بال الكاتب أن كلّ حكومات الدنيا لا تستطيع أن تخلق أديباً واحداً ، أو أن تنفخ الحياة فيما زالت منه عناصر البقاء .

---

(١) الضاد – (ع ٣ – ٤) آذار ونيسان ١٩٦٩ .